

التفاعل الثقافي والأدبي بين تيمرت وبلاد الغرب الإسلامي

Cultural and literary interaction between Tiaret and the countries of the
Islamic West

عبد العزيز فيضالي*

موسى بن حداد

جامعة باتنة -1-

جامعة باتنة -1-

abdelaziz.fedali@univ-batna.dzmoussa.benhaddad@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2025-01-06

تاريخ القبول: 2025-05-21

ملخص:

تمثل الثقافة في كل تجلياتها وأبعادها تلك الذخيرة التي أوجدها الإنسان على مر العصور وتعاقب الأجيال، وهي في سيرورة متواصلة، والجزائر كغيرها من الدول لها ثقافة تفاعلية، ونحن سنركز على التفاعل الثقافي والعلمي بين (تيمرت) وغيرها، ولمعرفة ماهية هذا التلاقح الحضاري والثقافي، ارتأينا عرض التساؤلات الآتية: ما الدور الذي لعبته (تيمرت) في تشجيع وتطوير الحركات العلمية والفكرية والثقافية في بلاد المغرب؟ وما نوعية العلاقات التي ربطتها مع غيرها من الحواضر؟ ثم كيف ساهمت في بناء نهضة ثقافية علمية في الجزائر آنذاك؟ هذا ما سنجيب عنه متبعين المنهجين التاريخي والوصفي؛ لأنهما الأنسب في رأينا لتقصي هذا الموضوع وبحثه.

الكلمات المفتاحية: تيمرت؛ حواضر بلاد الغرب؛ التفاعل؛ علاقات؛ الثقافة.

Abstract:

Culture in all its manifestations and dimensions represents the treasure that man has created throughout the ages, and generations succeed each other and are in a continuous process. Algeria, like other countries, has an interactive culture, and we will focus on the cultural and scientific interaction between (Tihert) and others. To know the nature of this cultural and civilizational cross-pollination, we decided to raise the following questions: What role did (Tihert) play in encouraging and developing scientific, intellectual and cultural movements in the Maghreb? What kind of relationships did it have with other cities? Then, how did it contribute to building a cultural and scientific renaissance in Algeria at that time? This is what we will answer by following the historical and descriptive approaches; because they are the most appropriate, in our opinion, to investigate and research this topic.

Keywords: Tihret; Western capitals; interaction; relations; culture.

شكلت المدن والحواضر المغربية منها والجزائرية خلال فترة العصر الوسيط منارات فكرية وعلمية وثقافية ذات أهمية بالغة، لعبت دورًا كبيرًا في تحقيق الرخاء والتقدم والسلام، وقد ارتبطت هذه البلدان بأواصر ووشائج وثيقة فيما بينها، ولعل من هذه البلاد التي عدت إحدى أهم المدن التي ازدهرت بها الحياة في شتى مناحيها، ورسمت كعاصمة ثقافية فنية بفعل الجهود التي بذلتها، والظروف التي هيأتها في سبيل خدمة العلم ومريديه، نجد (تيمرت) مقصد العلماء والناس من كل قطر.

وفي خضم هذا الرقي والنماء والسلم ووحدة الظروف واللغة والدين، .. وغيرها من الأسباب التي سهلت من عملية التواصل والتلاحم بشكل وثيق، نمت علاقات وروابط ثقافية قائمة على مبدأ التبادل بين (تيمرت) والمشرق وسائر بلاد الغرب الإسلامي، خاصة مع حواضر من مثل: (فاس، القيروان، نفوسة، سجلماسة).

كما أسهم هذا التواصل في تحقيق النمو في شتى المجالات مما عاد بالخير والفائدة على عموم ربوع هذه البلاد طيلة عقود من الزمن، هذا وتكمن أهمية هذا المقال في كونه يتطرق إلى قضية مهمة تتعلق بإحدى حلقات التاريخ الثقافي المشرق للجزائر منذ القرن الثاني الهجري ألا وهي حاضرة (تيمرت) التي تبوأ مكانة هامة بين حواضر الغرب الإسلامي في ذلك الوقت بفضل العناية التي أولاهها حكامها خدمة للعلم والمعرفة والثقافة بصفة عامة، ونهدف من وراء ذلك إلى معالجة عناصر عدة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بهذا الموضوع، لعل منها ما هو متعلق بمظاهر النشاط الثقافي في (تيمرت)، ومنها ما هو متصل بالروابط الثقافية لهذه الحاضرة مع باقي حواضر الغرب الإسلامي، ثم عوامل ازدهارها الثقافي، وهي كلها جوانب متصلة ببعضها، وتعكس صورة الفعل الثقافي فيها عموماً.

وللإحاطة بالموضوع من جوانبه المختلفة رأينا عرض التساؤلات الآتية: ما الدور الذي لعبته (تيمرت) في تشجيع وتطوير الحركات العلمية والفكرية والثقافية في بلاد المغرب؟ وما طبيعة الصلات التي ربطتها مع غيرها من الحواضر؟ ثم كيف أسهمت في بناء نهضة ثقافية علمية في الجزائر آنذاك؟ هذا ما سنجيب عنه متبعين في ذلك المنهجين التاريخي والوصفي؛ لأنهما الأنسب في رأينا لطبيعة هذا الموضوع وبجته.

1- مظاهر النشاط العلمي لعلماء تيمرت:

شهدت الدولة الرستمية نهضة علمية انتقل صداها ليشمل مختلف جوانب الحياة؛ ولعل ذلك يعود إلى تلك العلاقات التي كانت بينها وبين غيرها من حواضر الغرب الإسلامي، وحتى المشرق، وقد لعب استقرارها الأمني وموقعها الجغرافي دورًا هامًا في الرقي بها، وإلى قيام نهضة ثقافية ذات طابع متعدد الأبعاد، ثم إن كون أئمة الدولة من كبار العلماء ومحبي العلم الذين عملوا على تهيئة الظروف المناسبة والجو الملائم للعلماء وطلاب العلم، وهو ما شجع على تقدم الحياة العلمية وازدهارها، وبذلك غدت (تيمرت) قبلة للوافدين ومنارة ثقافية بامتياز امتد إشعاعها في الآفاق، واخترقت شهرتها الحدود والأمصار. تجسدت مظاهر النشاط العلمي والثقافي في (تيمرت) وفق صور مختلفة، إذ عقدت الحلقات في المساجد، والكتاتيب، ودور العلماء، وذاعت المناظرات في شتى المسائل والعلوم والفنون. كما تطورت حركة التأليف، ونسخ الكتب، وأنشأت المكتبات الخاصة والعامة، وملئت بأصناف الكتب في شتى المجالات، ومن بين مظاهر هذا النشاط نجد:

1.1- المسجد:

تعد المساجد من أهم الأماكن المقدسة عند المسلمين، وعليه حرصوا على بنائها أينما حلوا لإقامة شعائهم الدينية وفروضهم الواجبة، والرستميون كغيرهم من المسلمين حرصوا على نشر الإسلام والحفاظ عليه، ولذا عد المسجد ثاني شيء اهتم به مؤسس الدولة بعد إنشاء مدينة (تيمرت)، ولم يكن المسجد مكانا للعبادة فقط، بل كان بمثابة معهد للتدريس، ونشر العلم والمعرفة، إذ اتخذوه مؤسسة علمية تلتقي فيها عامة الناس لتلقي التعليم بمراحله المختلفة¹.

¹ - ينظر: عيسى بن الذيب، 2007م، "الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط"، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ص 42.

وعليه مثل المسجد مكانا هاما ساهم بفعالية في نشر العلوم والمعارف والآداب، وتنوير عقول الناس، ومما كان يدرس فيه القرآن والتفسير والفقه والحديث، وتمارس فيه الفتوى، كما يتم فيه أيضاً تعليم النحو واللغة وغيرها من المواد للطلاب¹.

وتذكر الكتب أنه لم يكن هناك مسجد في المدينة خاليا من المدرسين²، إذ كان له مكانة خاصة نظراً لوظيفته الهامة في الحياة بمختلف جوانبها؛ فهو لم يقتصر فقط على التدريس والصلاة بل تعداهما إلى كونه مكانا لنشر الأخبار الهامة، وقراءة بلاغات الدولة، كما تعقد فيه الحلقات، والمناظرات، والمحاورات، والوعظ والإرشاد، والإصلاح بين الناس.. الخ³.

وحسب ما هو متداول في بطون الكتب التاريخية من أن الإمام "عبد الوهاب" قضى سبع سنوات بجبل نفوسة يدرس مسائل الصلاة بالمسجد، وليس من المستبعد قيامه بالأمر ذاته في (تهرت)⁴.

وترد في العديد من المصادر أحاديث عن كثرة المساجد آنذاك وما ذلك إلا دليل على مدى أهميتها في حياة الناس في ذلك الوقت، وما تلعبه من أدوار هامة لديهم، حيث كان المسجد مكانا لقيام الكثير من النشاطات منها: (التعليم)، فمثلاً: الطلبة في جبل (نفوسة) كانوا ينتقلون رفقة معلمهم بين المساجد المنتشرة في الجبل، وكان التعليم في العهد الرستمي يتم على مراحل: مرحلة الكتاتيب، ثم مرحلة الحلقات والمجالس العلمية⁵.

¹ - ينظر: شوقي ضيف، 1995م، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر، ج:10، ط1، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة، ص 78.

² - ينظر: عبد الحليم عويس، 1991م، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، ص 253.

³ - ينظر: محمد بن تاويت الطنجي، 1377هـ/1957م، "دولة الرستميين أصحاب تهرت"، عدد خاص، المجلد: الخامس، العدد: 1-2، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص 109-110.

⁴ - ينظر: عيسى بن الذيب، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 43.

⁵ - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، 1414هـ-1993م، الدولة الرستمية 160-296هـ-777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، غرداية، ص 275.

أنشأت أماكن سميت بالكتاتيب لتعليم الصغار وكذا الكبار القراءة، والكتابة، والقرآن الكريم، والعلوم الدينية، واللغوية. وما يجب أن يعرفوه من فروض مرتبطة بالإسلام وتعاليمه، ومفردة "كُتَّاب" تعني في أوسع معانيها المكان الذي يحفظ فيه الصغار القرآن والقراءة والكتابة والحساب¹.

وكانت هذه الكتاتيب ملاصقة بالمساجد وأحيانا كانت جزءا منها، إذ كان يخصص منها مكان لتحفيظ الصبية وتعليمهم الدين واللغة وما تعلق بهما، وكان هؤلاء يكتبون على لوح خشبي بقلم من قصب وحبر مصنوع من صوف محروق ممزوج بماء، ومما يثبت أن أي مكان كان يتخذ وسيلة لتعليم الصغار ما قاله "ابن الأثير" فيما معناه؛ أن "يزيد مغلد بن كيداد" اشترى ضيعة في تقيوس ببلاد الجريد، وأقام فيها يعلم الصبيان، وكان قبل ذلك يعلم في أحد مساجد (تمهرت) قبل سقوطها على يد "أبي عبد الله الشيعي" عام (296هـ)². وكان الصبي عندما يكمل تعليمه الأولي في تلك الفترة ينتقل إلى ما يسمى بالمجالس حيث يلزم كبار العلماء لينهل من مختلف العلوم، وهذا دليل على أن التعليم في الدولة الرستمية كان يتم وفق طريقة نظامية وممنهجة نوعا ما مقارنة بتلك الفترة.

1-3- حلقات العلم في المسجد:

كانت تقام في المساجد دروس تخص شأنا من شؤون الدين ومسائله تسمى بالحلقات، حيث يخصص طلاب العلم غالب وقتهم لحضورها رغبة في التعلم والاستزادة، كما كان العلماء يحثون الطلاب على ملازمتها، وتشير المصادر إلى أن مثل هذه الحلقات كانت منتشرة بكثرة في كل من (تمهرت) و(نفوسة)، ولعل الفضل الأول يعود إلى أولئك الذين تلقوا العلم في البصرة. ومنهم: "عبد الرحمن بن رستم"، إذ نقلوا هذا النظام من هذه المدينة إلى (المغرب)³.

كما ساهمت البعث العلمية في بروز العديد من العلماء الذين نهلوا من العلوم المختلفة الشيء الكثير من مثل: "أبي خليل الدركلي"، و"عبد الوهاب بن عبد الرحمن"،

¹ - ينظر: عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 43.

² - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 279.

³ - ينظر: أحمد بن سعيد الدرجيني، 194م، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم خلافي، ج:2، مطبعة

البحث، الجزائر، ص 301.

و"محمد بن يانس"¹، وفي هذا العهد عرف أيضا ما يسمى: بحلقات العلم المتنقلة؛ أي ينتقل الطلبة مع معلمهم أينما ذهب، وقد كان "أبي ميمون الجيطالي" حلقة من الطلاب تنتقل معه، إذ يذكر "الدرجيني" أنه: "خطر ببال" أبي ميمون" أن ينظر في التزويج من بلد غير بلده، فمضى ومضى معه تلامذته وهم متمادون على دراستهم واجتهادهم، ولم يفترؤا في مقام ولا رحيل"².

لم تكن المساجد هي الأماكن الوحيدة التي كانت تجرى فيها مثل هذه الحلقات، بل كانت منازل العلماء أيضا دورا للتعليم والتثقيف³. ومن أمثلة ذلك منزل "أبي ذرأبان بن وسيم" الذي كان قبلة لمريدي العلم من كلا الجنسين⁴.

ومما يمكن الإشارة إليه هو أن هذه الحلقات لم تكن خاصة بمذهب معين دون سواه، ولعل هذا التعدد واعتماد مبدأ التسامح ساهما في تنشيط الحركة الثقافية وازدهارها في الدولة الرستمية، وانتشار حركة التأليف والنسخ فيها بشكل كبير.

4-1 المكتبات:

اهتم الأئمة الرستميون بإنشاء المكتبات وتزويدها بأقلام الكتب في شتى صنوف العلم، ولعل عنايتهم تلك ومخصصاتهم من الأموال لهذا المجال شجع حركة النسخ والتأليف، ومما قيل إن "عبد الرحمن بن رستم" كان في طليعة من ألفوا في التفسير⁵. ولا شك أن تخصيص المال وإنفاقه في شراء الكتب من المشرق دليل بالغ على اهتمام الأئمة بخدمة العلم ونشره، ومما ورد في كتب التاريخ أن الإمام "عبد الوهاب" بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة، أن يشتروا له بها الكتب، فلما وصلهم الألف اجتمعوا واتفقوا أن يشتروا بها رقا، ويجعلوا من أنفسهم الحبر والأقلام وعولة

¹ - ينظر: مسعود مزهودي، 2010م، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21- 442هـ/642- 1053م)، ط1، مكتبة الظامري، سلطنة عمان، ص 382.

² - أحمد بن سعيد الدرجيني، المرجع السابق، ج2، ص 295.

³ - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 285.

⁴ - ينظر: مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 385.

⁵ - ينظر: عبد الحميد حاجيات، 2007م، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص 75.

الكتب، وأخذوا في النسخ، فنسخوا له أربعين حملا من الكتب، فبعثوا بها إليه¹، كما تذكر المصادر أن مكتبة (تيهت) أشبه بصومعة ملئت كتباً في مختلف ضروب العلم والمعرفة²، وقيل إنه أطلق عليها فيما بعد مسمى المعصومة، وكانت تحوي آلاف الكتب والمصنفات حسب الدارسين³.

كما تتحدث الكتب عن وجود مكتبة سميت بخزانة (نفوسة)، وهي لا تقل من حيث الأهمية عن الأولى، إذ تحوي هي الأخرى آلاف المصنفات والعناوين، إضافة إلى وجود ديوان يضم مؤلفات كثيرة جداً، ومما قيل إن تأليف المشرق وحدها وصل عددها إلى ثلاث وثلاثين ألف جزء كلها مؤلفات لأهل المذهب⁴ ويضيف "المزهودي" أنه توجد خزانة في قصر "ولم" بالجبل، كما أبان عن شكه في كونها مكتبة واحدة، بل يرى أنها مجموعة من المكتبات توجد إحداها في (شروس) أم قرى الجبل، والأخرى في قصر "ولم" أما الأخيرة فسميت بالديوان⁵.

وما دام الاهتمام بالكتاب قد بلغ شأنا كبيرا، فلا بد من وجود مكتبات منتشرة عبر كامل ربوع البلاد الرسمية حتى يتحقق أكبر قدر من المنفعة التي من أجلها أنشأت، وعليه نقول: إن المكتبات أسهمت بشكل كبير في الحركة الثقافية، ونشر العلم والمعرفة من خلال ما كانت توفره من خدمات جليلة لطلاب العلم وحتى العلماء؛ نظراً لاحتوائها على آلاف العناوين التي تخدمهم، وتوفر عليهم الوقت والجهد والمال.

5-1- المناظرات الفكرية:

ظهرت في بلاد (المغرب) عدة اتجاهات وتيارات مذهبية كل منها يحاول التوسع والذيع على حساب الآخر، وقد وصل الخلاف والجدل بينها إلى حد جاوز أحيانا الصراع السلمي إلى اعتماد مختلف الوسائل للتفوق وإفحام الخصوم، ولنا في كتب التاريخ والسير وغيرها روايات وحوادث تصور بشكل دقيق ماهية الخلافات الطائفية المنتشرة عبر ربوع

1 - يعي بن أبي بكر بن أبي زكريا، 1979م، سير الأئمة وأخبارهم، تج: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص 65.

2 - ينظر: أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج:1، ص 94.

3 - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 289.

4 - مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21- 442هـ/642-1053م)، ص 417.

5 - المرجع نفسه، ص 417.

(المغرب) الإسلامي، وهذا النوع من الجدل الفكري والديني عُرف بما يطلق عليه: (فن المناظرة) التي عملوا على إتقان أصولها وتطوير أساليبها للرد على الخصوم المخالفين؛ ذلك أنها تتطلب كفاءة وقدرات خاصة يجب أن يتمتع بها الفرد المناظر حتى يستطيع التفوق على غيره.

ومما لا شك فيه أن كثرة المذاهب واختلافها هو ما أدى إلى إذكاء جذوة المناظرة وتنشيطها، زيادة على ذلك مبدأ التسامح الذي تبناه الأئمة الرستميون، والذي كان له أثر واضح في تشجيع الحركة العلمية وروح المنافسة، مما نتج عنه كثرة المناظرات وتعدد مواضيعها، وقد تميز البلاط الرستمي بمبدأ التعايش بين مختلف المذاهب والفرق الدينية القائمة آنذاك، يقول "ابن الصغير": "وما من بلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين والمدنيين لم يطلب بعضهم بعضاً ولا يسعى بعضهم ببعض.. إلا أن الفقهاء تابحثت المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفها فيها صاحبها"¹.

6-1- حركة التأليف:

ازدهر التأليف في العهد الرستمي بشكل لافت للنظر إذ أخرج العلماء والكتاب مؤلفات في شتى مجالات المعرفة والثقافة، إلا أن استيلاء الفاطميين على البلاد وتخريبهم إياها وإتلافهم للكثير من المصنفات حرمانا من الوقوف عليها، ورسم صور حقيقية عن مدى التطور الفكري والعلمي الذي بلغوه في تلك الفترة، وما وردنا منه إلا القلة القليلة والباقي هو مجرد ذكر ضمن كتب مؤلفين بعضهم كان على اطلاع، والبعض الآخر تلقى ذلك نقلاً أو سماعاً، ولو أن المتفق عليه هو انتشار المكتبات، وتعدد المؤلفات وكثرتها سواء ما كتب في (تيمرت) أو حواضر بلاد الغرب الإسلامي أو تلك المستنسخة أو المشتراة من المشرق، وهي تعد بالآلاف حسب روايات الكتب.

2- عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في (تيمرت) الرستمية:

2-1- تشجيع الأئمة الرستميين للحياة الفكرية:

لعبت (تيمرت) دوراً هاماً في تحويل ذاتها إلى عاصمة ثقافية بامتياز امتد إشعاعها ليلامس باقي الحواضر المجاورة وحتى البعيدة، ولعل الأئمة الذين حكموها كان لهم الفضل

¹ - عوض الشرقاوي، 2011م، التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة، مؤسسة تاوالت الثقافية، ص

الأكبر فيما وصلت إليه البلاد من الرخاء والتقدم في المجالين: (العلمي والثقافي)، إذ نذروا أنفسهم لخدمة العلم ونشره بين أوساط الناس، وشجعت جهودهم وعطاياهم الحركة العلمية، وجعلت محبي العلم يقبلون في شغف للتزود بالمعارف سواء داخل البلاد أو خارجها عبر القيام برحلات إلى حواضر العالم الإسلامي مشرقه ومغرب.

زيادة على كل ذلك كان للأئمة الحكام مجالس وحلقات ذكر وعلم سواء كانوا هم المشرفين عليها بأنفسهم¹ أو تلك التي يديرها علماء أجلاء في حضرته، وعلى هذا الأساس لم يخلوا بجهد ولا مال في سبيل نشر الإسلام وتثبيتته في نفوس الرعية²، وكذا حثهم على وجوب التزود بالعلم، وبذلك تحولت (تمهت) إلى مركز ثقافي هام يحتضن المعرفة والعلماء معا. إن اهتمام الأئمة بالعلم والثقافة والعمل على تشجيع نشر المعرفة بين الناس يعد من أهم عوامل ازدهار الفكر، وهو ما جعل من حواضر الغرب الإسلامي مراكز ثقافية تضاهي تلك الموجودة في المشرق، بل وتتفوق عليها في بعض النواحي، كما أن مبدأ التسامح الذي عرف به الأئمة وحهم للعلم وعنايتهم به جعل من (تمهت) توازي القيروان وفاس في العلم³. عرف المغرب الإسلامي عوامل كثيرة أسهمت في الحياة الفكرية والثقافية، إذ ومنذ القرن الثاني للهجرة شق المغرب طريقه نحو التمدن والاستقرار، حيث تأسست المدن والحواضر التي أثرت بشكل كبير في تطور الحياة، وتحقيق الرقي والرخاء نظراً لما لعبته من أدوار هامة في احتضان العلم والعلماء، وتنشيط الحركة الفكرية والثقافية عبر أغلب ربوع الغرب الإسلامي، ولعل ما ميز الحركة العلمية في بلاد الغرب الإسلامي هو التنوع الفكري الذي عرفته خاصة مع تعدد التيارات والمذاهب الدينية والفرق الكلامية وغيرها، فكان لهذا التداخل والتعدد أهمية بالغة من خلال تعدد الروافد والمشارب التي أذكت نار التنافس بين الحواضر بل حتى بين شرائح الحاضرة الواحدة⁴.

¹ - ينظر: محمد علي دبو، 2010م، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ص 329.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 329.

³ - ينظر: صالح باجية، دت، الإباضية بالجريد، ط1، دار بن سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص57.

⁴ - ينظر: قرواش سومية، إسهامات علماء تمهت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، 16-296هـ/777-909م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: أ-

أسهم الأئمة الرستميون في بناء الحياة الثقافية والعلمية ليس فقط بتيمرت، وإنما في كل المدن الخاضعة لسلطانهم، مما أدى إلى قيام نهضة كانت في بدايتها ذات طابع ديني، ثم ما لبثت أن شملت مختلف العلوم¹.

2-2- الموقع الجغرافي:

لعب الموقع الجغرافي لتيمرت وباقي مناطق الدولة الرستمية دورًا رئيسًا فيما بلغته الدولة آنذاك من استقرار وازدهار في شتى المجالات، إذ شملت الكثير من الطرق ونقاط الربط بينها وبين باقي حواضر الغرب الإسلامي، كما مثلت نقطة عبور إلى المشرق، فموقعها وفر لها الكثير من الميزات، زد على ذلك تشابه الحواضر من حيث الطبيعة وتشاركها في العديد من النقاط سهل عملية الاندماج والتلاقح بينها، وهذا الأمر يسر على الرحالة التأقلم بسهولة².

2-3- العامل الديني:

دعم الإسلام وحدة الحواضر، وقوى وشائج التواصل بينها، إذ لعبت مبادئه التي تحث على المساواة والعدل والإخاء والتسامح والتعاون دورًا بالغًا في ترسيخ هذه الوحدة، فرغم تعدد المذاهب والفرق الدينية واختلافها في مسائل معينة إلا أن قيام (تيمرت) على مبدأ التسامح عمّق العلاقات فيما بينها، وأدى إلى قيام مناظرات دينية سعت فيها المذاهب إلى الدفاع عن نفسها، ورغم أن أئمة (تيمرت) والكثير من أهلها وكذا سائر المناطق التابعة لنفوذ الدولة الرستمية تتبع الإباضية، إلا أنها لم تمنع بقية الفرق من النشاط.

د/ بلعربي خالد، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2018-2019م، ص 86-87.

¹ - ينظر: عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 85.

² - ينظر: محمد أحمد العربي، 1959م، العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي، مجلة دعوة الحق، عموم الأوقاف، الرباط، العدد: الخامس، السنة الثانية، 1959م، ص 33.

4-2- العامل السياسي:

إن الاستقرار السياسي الذي طبع بعض الفترات في الدولة الرسمية رافقه استقرار في مجالات أخرى أسهمت في تعميق العلاقات مع غيرها من الحواضر مما حدا بالناس إلى طلب العلم والتنقل من أجل النهل من معينه¹.

كما أن عدم الاستقرار في أقطار إسلامية أخرى أدى إلى هجرة الكثير من العلماء وطلاب العلم إلى مناطق أكثر أمناً وهو ما أثر على الجانب الثقافي للطرف المضيف، إذ الاحتكاك بينهم ساعد على تيسير التحصيل العلمي وتنوع مصادره.

5-2- السفارة:

تعد السفارة من المظاهر القديمة التي كانت تلجأ إليها الدول فيما بينها لقضاء مصالحها سواء وقت السلم أو الحرب، وقد كان في معظمها يتدخل العلماء في محاولة لتخفيف الصراع وإقامة أوامر الوُدّ، وكان يتم اختيار الوفود الدبلوماسية بعناية بالغة وذلك لغاية تحقيق ما أرسلت لأجله². وقد أوكلت (تمهّرت) بعض العلماء الفقهاء إلى بعض حواضر بلاد الغرب الإسلامي، والعكس أيضاً حدث معها.

6-2- العامل الاقتصادي:

عكس موقع (تمهّرت) الجغرافي الممتاز أهمية بالغة عادت بالإيجاب علماً من جميع النواحي، إذ إنها تتوسط الكثير من الطرق التي تربط بين العديد من حواضر الشرق والغرب الإسلاميين، وهذا ما ساهم في تنشيط علاقاتها التجارية مع الدول المجاورة³. ومما شجع على ازدهار النشاط الاقتصادي الاستقرار الأمني من خلال تأمين طرق التجارة وحمايتها من النهب، وإقامة الأسواق والأماكن المخصصة للتجارة وتنظيمها، ثم إن الرحلات التجارية إلى البلدان المجاورة أسهمت بشكل من الأشكال في تنشيط الحركة الثقافية ونشر الثقافة والعادات المحلية، إذ انتقل المذهب الإباضي من (تمهّرت) إلى الكثير

¹ - ينظر: مصطفى الزباخ، 1991م، "بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس قراءة في المشروع الحضاري المغربي بالغرب الإسلامي"، دار النشر المغربية، الرباط، ص 38-39.

² - ينظر: الحسين بن محمد، 1993م، "رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة"، تج: صلاح الدين منجد، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص 21-22.

³ - ينظر: الشريف الإدريسي، 2002، محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، المجلد الأول، ص 260.

من الأقطار من خلال رحلات التجار وحتى العلماء الذين ساهموا في نشره، كما أدى نشاطهم إلى نشر الإسلام وترسيخ مبادئه. بالتالي، يمكن القول: إن التجارة من بين العوامل التي أدت إلى تقوية العلاقات بين الدول، ونشر العلم والثقافة على أوسع نطاق.

7-2- الرحلة:

يعنى بها تلك الأسفار التي كان يقوم بها الناس فرادى أو جماعات، وذلك لأغراض مختلفة يعود بعضها إلى أسباب ذاتية منها: كالحج، والتجارة، وطلب العلم، وأسباب عامة كالجهاد، أو القيام بأعمال بتكليف من الحاكم ضمن ما يسمى بالسفارة¹.

وقد كانت الرحلة في طلب العلم شيئاً مألوفاً في البلاد الإسلامية خاصة في بلاد الغرب الإسلامي، ولم تنهم الصعاب أو تحدّ من حركتهم، حيث كانوا يسافرون براً وبحراً للقاء العلماء والجلوس في حضرتهم وتلقي العلم، وقد أشاد "ابن خلدون" بمزية الرحلة بقوله: "فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"². والرحلة وسيلة للحصول على الكتب من مختلف البلاد الإسلامية، والتعرف على المكتبات وما تحويه من أمات الكتب في شتى العلوم، وبذلك كان طالب العلم يعود إلى موطنه حاملاً معه الكتب القيمة والنادرة³. ومن جهة أخرى تعد الرحلة وسيلة لبناء شخصية المرتحل وإكسابه خبرات كثيرة تعينه في حياته العملية والعلمية، وعلى هذا النحو كان الطلبة لا يتخلفون عن الارتحال إلى مختلف الحواضر المعروفة في تلك الفترة.

وأبرز بعض من ارتحل إلى البلاد العربية نجد: "حماد بن بكر" الذي ارتحل إلى المشرق وأقام ببغداد للتعليم، و"عبد العزيز بن الإوز" الذي عاش بتيمرت ورحل نحو المشرق لتعلم الفقه، كما ارتحل الكثير من العلماء وطلاب العلم نحو بلاد الغرب الإسلامي لطلب

¹ - ينظر: محمد علم الدين الشقيري، 2005م، "صورة مصر عند رحلة المغرب والأندلس من خلال رحلي ابن جبير وابن بطوطة"، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 5.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، 2004م، المقدمة، تج: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 358.

³ - ينظر: صفية ديب، 2011م، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 و7هـ/ 13-12م، كنوز الحكمة، الجزائر، ص 172.

العلم أو التدريس. وفي مقابل ذلك كان المشاركة يشدون الرحال إلى (تيمرت) لأغراض مختلفة ومنهم: "أبو غانم بشر بن غانم الخرساني"¹.

وعليه يمكن القول: إن الرحلة من جملة العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة الثقافية في (تيمرت)، مما جعلها تتبوأ مكانة هامة وسط الحواضر، وحولها إلى مركز جاذب للعلماء والمتعلمين على حد سواء.

3- الروابط الثقافية بين (تيمرت) وبلاد الغرب الإسلامي:

تعد العلاقات العلمية التي تربط الدول ببعضها من أهم العوامل التي تطور الحياة الفكرية وتشجع النشاط المعرفي فيها، والدولة الرستمية (تيمرت) تفتنت إلى أهمية مثل هذه العلاقات في إدارة شؤونها، وتحقيق التقدم والرفق، لذا عملت على مد جسور التواصل مع غيرها من البلدان خاصة بلاد الغرب الإسلامي، وهذا ما سنبينه في هذا العنصر.

3-1- العلاقة بين (تيمرت) والأغالبة (القيروان):

حدث نوع من المثاقفة بين (تيمرت) و(القيروان) من منطلق مبدأ التأثير والتأثير، ولم يكن بد من حدوث التزاوج في الكثير من المجالات، والذي اتخذ صوراً مختلفة تجسدت من خلال وفود الحجاج والعلماء والطلبة، كما ساعد على هذا التلاقح الطائفة القروية في (تيمرت) و(الجند)، إذ نشر أولئك معالم الثقافة الإسلامية في الأوساط التي حلوا بينها². تميزت دولة الأغالبة بالقوة والازدهار، حيث مثلت (القيروان) آنذاك مركزاً ثقافياً وقطباً علمياً امتد إشعاعه ليلامس الأقطار المجاورة، إذ شكلت بمعاهدها العلمية والدينية ودورها الفكرية مقصد الكثير من العلماء وطلبة العلم، خاصة من (تيمرت) التي لم تكن بمعزل عنها³.

¹ - ينظر: أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، أحد علماء الإباضية بالمشرق، زار الدولة الرستمية وقد طبع كتابه في جزأين بسوريا، نقلا عن: أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، 1982م، سير الأئمة وأخبارهم، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص 82.

² - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، 1984م، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص111.

³ - ينظر: محمد زيتون، 1977م، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنافع للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 241.

ومن الشخصيات التي تُظهر بعض ملامح هذه العلاقة بين الحاضرتين شخصية "يوسف الفتاح" الذي تعلم بتيمرت ورحل إلى (القيروان) ليعلم إياضيها ما تعلمه في (تيمرت) إذ كان يدرس حوالي خمسمائة رجل في حوزة واحدة¹. إضافة إلى "سعد الحداني" و"أبو الغدير الهواري" اللذين عملا بالفتوى في القيروان²، ويضاف إليهم "ابن سلام أبو حبيب" وهو عالم وفقه إياضي من العرب كان منزله بقفصة شرقي (القيروان)، ويرجع كثرة العلماء الإياضيين في مدن دولة الأغالبة وخاصة بعاصمتها لغرض تعلم مختلف العلوم وتحديدًا اللغة العربية³.

كما أن هناك دلائل على اتصال العلماء بين الحاضرتين بعضهم ببعض ما أدى إلى قيام نشاط علمي مزدهر⁴، إضافة إلى أن (القيروان) كمكان لم تكن غريبة عن مؤسس الدولة الرستمية، إذ شب فيها على تعلم مبادئ اللغة والقرآن الكريم والعديد من العلوم الدينية⁵، زيادة على استقرار معظم الإياضيين في (القيروان) وذلك بحكم قرب جبلهم منها، يروي "لواب بن سلام" وجود ما يربو عن خمسمائة رجل نفوسي من علماء وفقهاء أمثال: "أبي عمرو حفصون النفوسي" الفقيه العالم النقاد، و"فضل بن عبد الله" الذي كانت له حلقاته العلمية في منزل "أبي الأزهر" يحضرها رجال من هواره وزناتة، وكانوا في سبع منازل ولهم مساجد عديدة⁶.

وبذلك تحولت (القيروان) إلى قبلة بالنسبة للإياضيين، على أن الأمر لم يقتصر عليهم فقط، وإنما تعداه إلى مالكي (تيمرت) من أجل نهل العلوم الدينية وغيرها، إذ التحق

¹ - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ-777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 383.

² - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 121.

³ - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 383.

⁴ - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 121.

⁵ - ينظر: محمد علي، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3 هـ/8-9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008م، ص 37.

⁶ - ينظر: عوض الشرقاوي، 2011م، التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، مؤسسة تاوالت الثقافية، ص 160.

قاطني الدولة الرسمية ببيت الحكمة التي تعد أول جامعة تضم العديد من العلوم¹. هذه الرحلات التي يقوم بها هؤلاء من أجل التزود بالعلم خاصة ما تعلق بالجانب الديني يحيل ضمناً إلى ذلك التعايش المذهبي بين الأئمة الأغلبية والرستميين وتركيزهم على التعاون ومحاولة النهوض بحواضرهم وتحقيق الرقي والتقدم، وعليه وصلت العلاقات إلى أقصى مداها، ثم إن التعلم في بيت الحكمة لم يقتصر فقط على الإباضيين، بل شمل أيضاً أتباع المذهب المالكي من (تمهرت)، وقد استمر التوافد بين البلدين قائماً لفترات طويلة وعلى نحو مستمر. ولا يمكن أن ننسى أهم شخصية عكست بقوة تلك الروابط الثقافية بين الحاضرتين ألا وهي "بكر بن حماد" الذي لعب دوراً أساسياً في عملية التأثر والتأثير، كما أن الفقيه المالكي "أبو موسى بن الباديس" هو من صلى على جنازة "بكر بن حماد" في (تمهرت) وهذا دليل على رسوخ قدمه في العلم وفي عملية التبادل الثقافي بين البلدين، كما أنه يؤكد على وجود متانة الروابط الثقافية بينهما².

ويروي عن ذلك "محمد بن رمضان شاوش" فيما معناه أنه سافر من مسقط رأسه (تمهرت) عام (217هـ) قاصداً البلاد الشرقية وهو لا يزال في عنفوان الشباب، فتوقف بالقيروان وقرأ بها الفقه والحديث وبقية العلوم التي كانت تلقى حينذاك بمساجدها على أكبر علمائها وبالخصوص على الشيخ "عون بن يوسف الخزاعي"، والإمام "سحنون بن سعيد التنوخي"، ولم يمكث بها إلا سنة أو أقل³.

ثم عاد مرة أخرى إلى (القيروان) في عهد "إبراهيم الثاني الأغلي"، وكان كثير الامتداح له وكان الممدوح كريماً معه⁴، وكان "بكر بن حماد" يقيم في القيروان حيناً وفي (تمهرت) حيناً آخر، وعليه يمكن القول: إن هذا الأخير مثل عن جدارة قمة الترابط الثقافي بين الدولتين.

¹ - ينظر: إبراهيم بحاز، الدولة الرسمية 160-296هـ-777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 384.

² - ينظر: إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 322.

³ - ينظر: محمد بن رمضان شاوش، 1996م، الدرا الوقاد من شعر بكر بن حماد التمهري، ط1، المطبعة العلوية، الجزائر، ص 44-45.

⁴ - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، ص 114.

إن حرية الفكر، والجو الملائم الذي كان سائدا آنذاك شجع على قيام مثل هذه الصلات بين (القيروان) و(تهرت) وهما يومئذ من أهم حواضر بلاد الغرب الإسلامي، مما عاد بالنفع في شتى المجالات على كليهما.

2-3- العلاقة الثقافية بين (تهرت) وجبل (نفوسة):

تعدّ (نفوسة) بمثابة مركز الدولة الرستمية الرئيس، وقلبها الحي، وقد أكدت المصادر التاريخية على قوة العلاقات بينهما وحصول تأثير وتأثر عميقين، فقد كان (جبل نفوسة) يقدم دعمه المطلق لتهرت سواء ما تعلق بالجانب الديني أو الجانب السياسي أو الجانب العسكري، إذ تميز (الجبل) بتفوق علمائه وتضلّعهم في علوم اللغة والمنطق والمناظرات والدين.

إذن، كان جبل (نفوسة) يرسل علماءه إلى (تهرت) كلما شعر الأئمة الرستميون بالخطر يهدد دولتهم أو يشكك في أهليتهم للإمامة، وقد استطاع هؤلاء العلماء القيام بما أوكل إليهم، فتضلّعهم في العلوم الدينية وفن المناظرة والمنطق مكّهم من التغلب على خصومهم، وأصدق مثال على ذلك طلب "عبد الوهاب بن عبد الرحمان" من عامله في الجبل أن "يرسل إليه بمن يجيد فن الرد والمناظرة وفنون الحرب والتخطيط العسكري، فاختار هذا الأخير "محمد بن يانس أبي الحسن الأبدلاني" و"أيوب بن العباس"، وأرسلهما إلى (تهرت)، ولما وردا عليه استنصر بقدميهما¹.

كما نجد من هؤلاء أيضا "أبو خليل صال الدركلي" الذي عرف بفتاويه وأقواله خاصة تلك التي يحرض فيها على طلب العلم حيثما كان، وهذا دليل على قيام رحلات علمية بين (جبل نفوسة) وغيرها من حواضر المغرب مروّراً بأهم حاضرة ثقافية آنذاك (تهرت). وتذكر المصادر أن "عمروس بن فتح" أحد أبرز فقهاء (جبل نفوسة) مكث بالمغرب عشرين سنة دون تحديد المكان بدقة، وهذا لا ينفي مكوثه أيضا في (تهرت) بعدها من الحواضر العلمية المهمة التي تشجع العلم وطلابه وذلك من خلال الاهتمام بتوفير الظروف الملائمة لذلك.

¹ - ينظر: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، 2011م، كتاب السير، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ص 157.

وكدليل على توطد العلاقة بين الحاضرتين على نحو وثيق نجد سكان (جبل نفوسة) اعتمدوا على أبي "اليقظان" في كل معاملاتهم الدينية مثلما يذكر ذلك "ابن الصغير"¹.

3-3- العلاقة الثقافية بين (تمهريت) ودولة بني مدرار (سجلماسة):

أورد "ابن الصغير" في مؤلفه تواجد عدد من الإباضيين في (سجلماسة) عاصمة (بني مدرار) التي كانت تدين بالمذهب الصفري² الذي بدأ تأثيره في الزوال بسبب انتشار الإباضية بشكل كبير داخل مفاصل الدولة³، ووجود العديد من علماء الإباضية في (سجلماسة) أمثال: "ابن الجمع" الذي استوطن فيها، ودرس الطلاب أيضًا، وكان من تلاميذه "أبو الربيع سليمان ابن زرقون النفوسي" الذي بلغ على يد أستاذه من العلوم ما لم يبلغه كثير ممن في عصره⁴.

ومما يشير إلى العلاقات القوية التي كانت تربط بين الحاضرتين أن سكان (سجلماسة) بعد خروج "أبي الربيع" عنها استنجدوا به لاختلافهم في مسألة كادت تؤدي بهم لحرب أهلية فأجابهم بشكل أنهى خلافهم، كذلك من طلاب "ابن الجمعي" نجد: "مخلد بن كيداد" الذي درس على أيدي شيوخ الخوارج ولعب دورًا هامًا في نقل الثقافة الإسلامية بين مدن المغرب التي حل بها، وعليه يمكن عده من حلقات الوصل التي كانت تربط بين (تمهريت) و(سجلماسة)⁵.

¹ - ينظر: ابن الصغير، 1986م، "أخبار الأئمة الرسميين"، نج: محمد ناصر إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 83.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

³ - ينظر: إبراهيم بكر بحاز، 2011م، عبد الرحمان بن رستم مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة بالجزائر (160-171هـ/777-788م)، موفم للنشر، الجزائر، ص 385.

⁴ - ينظر: عوض الشرقاوي، التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة، ص 160.

⁵ - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 223.

4-3- العلاقة الثقافية بين (تهرت) و(السودان):

إن قيام علاقات تجارية بين (تهرت) و(السودان) ساعد في إيجاد نوع من الثقاف الذي عمق النشاط التجاري الذي كان يربطهما؛ فالتجارة كانت الوسيلة الأولى التي أسهمت في وصول الإباضية إلى (السودان) وانتشارها فيه¹.

وعلى هذا النحو انتشر الإسلام وذاع بفعل هؤلاء التجار والعلماء الذين يدينون بالمذهب الإباضي من سكان (جبل نفوسة)، إذ لعب هؤلاء دورًا هامًا في ذلك، ولعل هذا التفاعل بين الجانبين وطد وأصر التواصل في ميادين كثيرة، وأوجد جواً ملائماً وظروفاً شجعت على التبادل العلمي والديني والثقافي، وهو ما عاد بالنفع على كلا الجانبين، وخاصة أهل (السودان)، إذ أخرجهم ذلك من عيش حياة البدائية والوثنية إلى حياة ملؤها الإسلام والرفاه، ولعل من العلماء الذين لعبوا دوراً هاماً في ذلك: "أبو يحيى بن القاسم الفرسطاني"، و"عبد الحميد الفزاني" وهما من معتنقي المذهب الإباضي².

5-3- العلاقة الثقافية بين (تهرت) و(فاس (الأدارسة):

ربطت بين العاصمتين علاقات علمية وثقافية مميزة، إذ لعبت (فاس) دوراً مركزياً بعدّها قطباً يجمع بين العلماء من كل قطر، وبحكم الجيرة بين (فاس) و(تهرت)، ورغم اختلاف المذاهب بينهما، إلا أن ذلك لم يمنع من قيام روابط طيبة³. كما كان لعلماء المذهب المالكي دور في ترسيخ جو من التأثير والتأثير مع غيرهم من خلال رحلات طلب العلم التي كانوا يقومون بها من حين لآخر.

شهدت (فاس) حركة علمية مزدهرة بفضل من وفد إليها من مختلف الأمصار والجهات، وقد مثل (جامع القرويين) بفاس مركزاً علمياً امتد بإشعاعه ليطال غيره، وقد كانت تدرس فيها مختلف العلوم⁴، كل هذا ساهم في تشجيع العلماء على الارتحال من وإلى (فاس) لطلب العلم، ومن الحواضر العلمية التي استفادت (فاس) منها نجد: (تهرت) بفضل شهرتها في هذا المجال وموقعها الجغرافي المميز، ومن هؤلاء الذين انتقلوا إلى (تهرت) ليدرسوا

¹ - ينظر: عوض الشرقاوي، المرجع السابق، ص 161.

² - ينظر: إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرسمية 160-296هـ-777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 388.

³ - ينظر: عيسى بن الذيب، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، ص 200.

⁴ - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 196-197.

فيها: "أبو عبد الله محمد بن أحمد السنوسي" الذي قدم إليها وجلس يستمع إلى علمائها، كذلك العالم "أبو بكر بن اللباد" الذي شد الرحال إلى (القيروان) مروراً بتمهرت¹، ولعل خير من يمثل صورة العلاقات المتينة بين الحاضرتين هو "بكر بن حماد" و"أحمد بن فتح التاهرتي"، كما لا يمكن تجاوز دور الحجاج ومساهماتهم في عملية التبادل الثقافي، ومما قيل إن حجاج (السوس الأقصى) و(طنجة) يجتمعون إضافة إلى حجاج باقي أمصار (المغرب) في (تمهرت) حيث يلتقون بعلمائها²، علاوة على مرافقتهم للقوافل الخارجة من (تمهرت) باتجاه الحج فيحدث الاختلاط والتبادل الثقافي³.

مثلت (تمهرت) بفضل موقعها نقطة وصل وربط وعبور بين العديد من الأمصار لذا كان النشاط الثقافي والفكري فيها أكبر، فقد كانت تمر عليها القوافل من وإلى (الأندلس) و(فاس) و(القيروان) والمشرق العربي، إضافة إلى اعتمادها مبدأ الحرية والتسامح، بالتالي، هؤلاء تأثروا بتمهرت أكثر مما أثروا فيها، وعليه يمكن القول: إن العلاقة بين (فاس) و(تمهرت) بنيت على وحدة المصير والدين وحسن الجوار والتشابه الثقافي والاجتماعي والتعاون في شتى المجالات⁴.

الخاتمة:

في الأخير وكخلاصة لما تم التطرق إليه في هذا المقال، يمكن إجمال ما تم التوصل إليه في النقاط الآتية:

* تميز النشاط الثقافي في (تمهرت) بالتنوع والتعايش بين مختلف المذاهب والفرق، وتعدد الآراء، وكثرة المناظرات والمجادلات الفكرية والعلمية والأدبية والدينية وغيرها.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 199-200.

² - ينظر: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب يعقوبي، 1860م، البلدان، مطبعة بريل، ليدن. ص 15.

³ - ينظر: عبد الكريم يوسف جودت، الدولة الرستمية 160-296هـ-777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 202-203.

⁴ - ينظر: عثمان الكعاك، 1956م، البربر، ط1، مطبعة الشرقي، تونس، ص 51.

* تعد المكتبات أحد أهم مظاهر النشاط العلمي والثقافي في (تيمرت)، إذ أقيمت المنشآت الزاخرة بأصناف الكتب في شتى العلوم لتذليل الصعوبات على طالب العلم وتزويده بكل مستجد في مجال التأليف، وعليه انتشرت المكتبات عبر كامل الدولة الرستمية وهو ما يدل على العناية البالغة التي أولتها الدولة للعلم.

* اهتمام الحكام الرستميين بالمعرفة ونشر العلم، جعل من حاضرتهم مركزاً علمياً ثقافياً ينافس المراكز الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي كالقيروان، و(فاس)..الخ.

* لم تساهم التجارة في نقل السلع وتحقيق الأرباح وحسب، وإنما حملت معها أهدافاً أخرى تتعلق بالدين والفن والثقافة، وهو الشيء الذي أدى إلى توطيد العلاقات الثقافية وتحسين التواصل بين الشعوب المختلفة.

* لعبت الرحلة بأنواعها خاصة منها العلمية دوراً بالغاً في عملية التلاقح الفكري والأدبي بين حواضر الغرب الإسلامي وبينها وبين المشرق، إذ أسهم الارتحال في سبيل طلب العلم في نشر المعرفة، وتوطيد العلاقات بين الناس، وهو ما أدى إلى تنشيط الحركة العلمية في هذه البلاد.

* حرصت (تيمرت) على إقامة علاقات مع مختلف الدول والحواضر القريبة منها والبعيدة، فلم تكتف بإرسال الوفود للحج أو التجارة أو البعثات العلمية، وإنما أسست البنى التحتية، وخصصت المنح لتشجيع العلم والعلماء، وهو ما جعلها قبلة لتوافد الناس عليها لأغراض مختلفة، الشيء الذي جعل منها حاضرة تضاهي غيرها وتتفوق أحياناً أخرى، وبذلك استطاعت أن تعكس أرقى صور التواصل الثقافي بينها وبين غيرها.

* حققت الدولة الرستمية تفوقاً علمياً وثقافياً وأدبياً إلى جانب نفوذها السياسي الذي امتد واسعاً، وذلك بفضل فطنة حكامها وعنايتهم بمختلف العلوم والمعارف والآداب، وحسن تسييرهم لشؤون البلاد والرعية.

المراجع:

- 1- إبراهيم بكير بحاز، 1414هـ-1993م، الدولة الرستمية 160-296هـ-777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، غرداية.
- 2- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي، 1860م، البلدان، مطبعة بريل، ليدن.
- 3- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، 2011م، كتاب السير، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.
- 4- أحمد بن سعيد الدرجيني، 194م، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم خلافي، ج:2، مطبعة البحث، الجزائر.
- 5- الحسين بن محمد، 1993م، "رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة"، تح: صلاح الدين منجد، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- 6- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، 1982م، سير الأئمة وأخبارهم، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- 7- الشريف الإدريسي، 2002، محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- 8- شوقي ضيف، 1995م، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائرية، ج:10، ط1، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة.
- 9- صالح باجية، دت، الإباضية بالجريد، ط1، دارين سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.
- 10- ابن الصغير، 1986م، "أخبار الأئمة الرستميين"، تح: محمد ناصر إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 11- صفية ديب، 2011م، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 و7هـ/ 12-13م، كنوز الحكمة، الجزائر.
- 12- عبد الحليم عويس، 1991م، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة 253.
- عبد الحميد حاجيات، 2007م، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر.
- 13- عبد الرحمن ابن خلدون، 2004م، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 14- عبد الكريم يوسف جودت، الدولة الرستمية 160-296هـ-777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية.
- 15- عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- عثمان الكعك، 1956م، البربر، ط1، مطبعة الشرق، تونس.
- 16- عوض الشرفاوي، 2011م، التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، مؤسسة تاوالت الثقافية.

- 17- عيسى بن الذيب، 2007م، "الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط"، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.
- 18- قرواش سومية، إسهامات علماء تيمرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، 16-296هـ/777-909م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: أ-د/ بلعربي خالد، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2018-2019م.
- 19- محمد أحمد العربي، 1959م، العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي، مجلة دعوة الحق، عموم الأوقاف، الرباط، العدد: الخامس، السنة الثانية، 1959م.
- 20- محمد بن تاويت الطنجي، 1377هـ/1957م، "دولة الرستميين أصحاب تيمرت"، عدد خاص، المجلد: الخامس، العددين: 1-2، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد.
- 21- محمد بن رمضان شاوش، 1996م، الدراالوقاد من شعربكر بن حماد التيمرتي، ط1، المطبعة العلوية، الجزائر.
- 22- محمد زيتون، 1977م، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنافع للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 23- مصطفى الزياخ، 1991م، "بنية الخطاب في فن الرسالة المرابطية بالأندلس قراءة في المشروع الحضاري المغربي بالغرب الإسلامي"، دار النشر المغربية، الرباط.
- 24- محمد علم الدين الشقيري، 2005م، "صورة مصر عند رحالة المغرب والأندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة"، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 25- محمد علي دبو، 2010م، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية.
- 26- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في عهد الأغالية والرستميين خلال القرنين 2-3 هـ/8-9م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008م.
- 27- مسعود مزهودي، 2010م، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442هـ/642-1053م)، ط1، مكتبة الظامري، سلطنة عمان.
- 28- يحيى بن أبي بكر بن أبي زكريا، 1979م، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.